

المدرسة اللغوية الدمشقية الحديثة (عرض موجز لأسسها العامة)

الدكتور جعفر دك الباب

وكذلك في دراسة مقارنة لعدة لغات سواء أكانت متقاربة أم مختلفة من حيث البنية القواعدية ومن حيث الأسرة اللغوية. ونصرح بأن المنهج الوصفي الوظيفي في الدراسة اللغوية الذي تبنينا وندعو إليه ينطلق من أسس المنهج العلمي لمدرسة أبي علي الفارسي اللغوية الذي حددها في ضوء اللسانيات الحديثة. وتتجدر الاشارة هنا إلى أننا نفرد من بين الباحثين العرب المعاصرين بالقول بتميز مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية في تاريخ الدراسات اللغوية العربية القديمة، وأننا أطلقنا هذه التسمية عليها.

1 - ونوجز التعريف بالمنهج العلمي لمدرسة أبي علي الفارسي اللغوية في النقاط التالية :

1 - وضع أبو علي الفارسي منهجاً لاتجاه جديد في علوم العربية سميته بمدرسة أبي علي اللغوية. انطلق هذا المنهج من الدراسة الموضوعية لكل مسألة من مسائل الخلاف النحووي على حدة وأبداء الرأي فيها، لذا وسمناه بأنه منهج علمي.

2 - تبني ابن جني المنهج العلمي لأستاذة، وعمقه في بحثه عن الأصول العامة للنحو في كتابه

يستهدف العرض التعريف بإيجاز بالنظرية اللغوية العامة الجديدة للأستاذ جعفر دك الباب ودراسة العربية في ضوئها. وفي عنوان العرض استخدم مقدمه مصطلح (المدرسة اللغوية الدمشقية الحديثة) الذي أطلقه الدكتور محمد شحرور على هذه المدرسة لدى تقديميه لكتاب الدكتور جعفر دك الباب «طريقة جديدة في دراسة تصريف الأفعال في العربية»^(٤).

يتتألف العرض من مدخل وقسمين : الأول — التعريف بنظرية الأستاذ دك الباب حول نشأة الإنسان واللغة الإنسانية، والثاني — دراسة اللسان العربي في ضوء تلك النظرية.

مدخل :

1 - في البداية نعلن انتباعنا إلى البنوية الوظيفية. ونقول عنها أنها «منهج في الدراسة اللغوية وصفي وظيفي : منهج وصفي لأنّه يصف البنية اللغوية، ومنهج وظيفي في الوقت نفسه لأنّه بين الوظيفة الإبلاغية التي تؤديها اللغة»^(٥). ونرى أن هذا المنهج صالح لاستخدامه في دراسة لغة واحدة

«الخصائص»، فبحث في نشأة اللغات وأصوات العربية وعلاقة معاني الكلم في العربية بأصواتها.

3- سار عبد القاهر الجرجاني وفق المنهج العلمي لأبي علي، وعمقه بتأكيد الوظيفة الإبلاغية التي تؤديها اللغة وذلك بالدعوة إلى عدم فصل دراسة البلاغة عن النحو، فكان كتابه «دلائل الإعجاز» بداية مرحلة جديدة في تاريخ علوم العربية هي مرحلة تأكيد الوظيفة الإبلاغية للغة.

4- تابع الزمخشري السير وفق المنهج العلمي لمدرسة أبي علي الفارسي اللغوية في صيغته الجرجانية، فكان كتابه «المفصل في علم العربية» يركز على ربط البلاغة بالنحو، وطبق هذا المنهج في «الكتاف».

5- تبني السكاكي المنهج العلمي لمدرسة أبي علي الفارسي اللغوية في صيغته الجرجانية، وطوره بكشف خصائص النظام اللغوي للعربية في مستوياته المتدرجة : الأصوات أولاً، والكلمات المفردة ثانياً، والتركيب من حيث علاقتها النحوية ثالثاً، والتركيب من حيث علاقتها السياقية رابعاً.

إن منهج السكاكي في (مفتاح العلوم) وهو المنهج العلمي المتتطور لمدرسة أبي علي الفارسي اللغوية، وقد مكنته هذا المنهج من إدخال تطوير هام في التأليف اللساني العربي تجلّى في دراسة علم الصرف قبل علم النحو. والسؤال الذي يطرح نفسه هو التالي : لماذا اشتهر القسم الثالث من (مفتاح العلوم) الخاص بعلم المعاني والبيان وأهمل القسم الأول الخاص بعلم الصرف والقسم الثاني الخاص بعلم النحو ؟ السبب واضح برأينا : تم ذلك لأن المنهج السائد في التأليف اللساني ما قبل السكاكي كان يقتضي بدراسة علم النحو أولاً ثم تليها دراسة

علم الصرف. وقد أدخل السكاكي تطويراً هاماً حين جعل دراسة علم الصرف سابقة لعلم النحو. ولكن شراح بلاغة (المفتاح) فصلوا البديع عن البيان، فقسموا علوم البلاغة إلى (المعاني والبيان والبديع)، وتخلوا عن تعريف السكاكي لعلم المعاني وهو «تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره». وعلم المعاني وفق هذا التعريف دراسة تطبيقية تتجلّى في تبع كيفية ارتباط الإسناد بالإفادة عن طريق دراسة الجملة في السياقات المختلفة. وقدم الفزويني في «الإيضاح» تعريفاً بديلاً لعلم المعاني وهو «علم يعرف به أحوال اللهظ العربي التي بها يتطابق مقتضى الحال». فأسقط الفزويني بذلك الجانب التطبيقي الذي أكدده السكاكي والمتمثل في (تتبع كيفية ارتباط الإسناد بالإفادة). وقد ساد تعريف الفزويني لعلم المعاني إلى يومنا، وتكرس بسبب ذلك فصل النحو والبلاغة بعضهما عن بعض..

1—3— وقد بلورنا مفهومنا للنظام اللغوي في ضوء المنهج العلمي لمدرسة أبي علي الفارسي اللغوية في صيغته المتطرورة السكاكية. ونوجز مفهومنا للنظام اللغوي في النقاط التالية : يشتمل النظام اللغوي على ثلاثة مستويات متدرجة هي :

- 1- المستوى الصوتي الذي لا يوجد إلا بمحضاً في البنية الصوتية للمفردات. ويختتص علم الأصوات اللغوية بدراسة مكونات تلك البنية الصوتية. ويرتبط بالمستوى الصوتي نظام الكتابة الذي هو وسيلة لتسجيل المستوى الصوتي.
- 2- المستوى الإفرادي للكلمات (مستوى الكلمات المفردة). وله جانبان متلازمان :

تدرس فيه معزولة عن السياق الكلامي والمقام. ويشترط في هذا المجال من الدراسة توافق الإسناد المنطقية بين العنصرين المكونين للجملة وما : المنسد والمنسد إليه. ويختص علم النحو بمجال الدراسة المنطقية للجملة.

والثاني - مجال الدراسة الإبلاغية للجملة.

وهو مجال متغير حسب حال السامع، لأن الجملة تدرس فيه حسب حال السامع ضمن السياق الكلامي والمقام. ويشترط في هذا المجال من الدراسة توافق الإلقاء بالنسبة للسامع. ويختص علم المعاني (الذي هو أحد علوم البلاغة الثلاثة وهي : المعاني والبيان والبديع) بمجال الدراسة الإبلاغية للجملة عن طريق تتبع أحوال المنسد والمنسد إليه من أجل بيان كيفية ارتباط الإسناد بالإلقاء التي تحملها الجملة للمخاطب (السامع) في السياقات الكلامية والمقامات المختلفة.

١-٤ - وبما أن النظام اللغوي من ثلاثة مستويات متدرجة، فإن منهجنا الوصفي الوظيفي يقتضي بعدم فصل دراسة هذه المستويات المتدرجة للنظام اللغوي بعضها عن بعض.

لذا فإننا نرفض فصل دراسة علم المعاني عن دراسة علم النحو بمفهومه الواسع (صرف العربية ونحوها)، وندعو إلى توحيد هما معاً في علم واحد نلقبه (علم قواعد اللغة العربية) ويشتمل على تمهيد في أصوات العربية. وقد طرحتنا هذه الدعوة عام 1980 في بحث عنوانه «ازدواجية اللغة العربية وكيفية الخروج منها»^(٢).

- ١ - البنية الصوتية للكلمة ويتخصص بدراسة أوزانها علم الصرف
- ٢ - البنية الدلالية للكلمة ويتخصص بدراساتها علم المعجم.
- ٣ - المستوى التراكبي للكلمات (مستوى الكلمات المركبة بعضها مع بعض أي التراكيب). وله جانبان :

١ - التراكيب غير الإسنادية. ويتخصص بدراساتها علم النحو في بعض أبوابه كبابي المجرورات والتوابع.

ب - التراكيب الإسنادية (الجمل). ويتخصص بدراساتها كل من علم النحو وعلم المعاني. ويرجع السبب في اشتراك علمي النحو والمعاني في دراسة الجملة إلى أن للجملة جانبي متلازمان هما :

(١) جانب المبني الذي يتمثل في مستوى البنية الصوتية للجملة

(٢) جانب المعنى الذي يتمثل في مستوى البنية المعنوية للجملة.
يتعجل مستوى البنية الصوتية للجملة في ظاهرتين متلازمان هما :

الأولى - ترتيب تسلسل الكلمات المكونة للجملة.

والثانية - التسغيم، وهو وسيلة تمييز الأنواع المختلفة للجملة.

ويميز في البنية المعنوية للجملة مجالان متلازمان للدراسة هما :

الأول - مجال الدراسة المنطقية. وهو مجال ساكن لا يتغير حسب حال السامع، لأن الجملة

القسم الأول :

التعريف بنظرتنا حول نشأة الإنسان واللغة الإنسانية

تهييد في منهجنا اللغوي :

تتعنت العربية بخصائصها البنوية المميزة عن طريق بحثهم فيما سموه (الأصل والفرع). وقد اعتمدوا في تحديد الأصل والفرع مبدأ (التجرد والزيادة) في البنية الدلالية للكلمة أو في بنيتها الصرفية، ولم يأخذوا بالحسبان عامل الأسبقية في الزمان.

ونرى أن «تحديد الأصل والفرع لا يمكن أن يتم البحث فيه خارج محور الزمان، لأن الأصل هو بالضرورة الأسبق في الزمان والفرع هو التالي له في الزمان»^(٤).

لذا لا بد لتحديد الأصل والفرع من استخدام منهج تعاقبي (دياكروني) في الدراسة اللغوية. ونعلن أننا، من أجل الكشف عن أسباب تتعنت العربية بخصائصها البنوية المميزة، نتبني منهجاً تاريخيناً علمياً في الدراسة اللغوية يمكن من تحديد الأصل والفرع على محور الزمان وذلك بالاستناد إلى منطق فلسفى يرى أن مصدر المعرفة الإنسانية هو العالم الخارجي. لذا يربط المنهج التاريخي العلمي دراسة نشأة اللغة الإنسانية بنشأة الإنسان نفسه، وبين مراحل اكتمال النظام اللغوي وقوانين التطور اللغوي.

٢—٣— تؤيد الرأي القائل إن المقابلة بين التزامن والتعاقب في دراسة اللغة وهما جداً ولا يمكن أن تكون مقبولة إلا في مراحل الدراسة التمهيدية. ونرى أن المقطع السكوني وهو لأنه عبارة عن طريقة علمية مساعدة وليس شكلاً من أشكال الوجود. لذا تؤكد أنه يجب لدى دراسة النظام اللغوي أن نهمّ بما هو عام ومطرد من دون أن نهمل الاستثناءات (ال Shawād), لأنها تعتبر شواهد على مراحل سابقة أو بدايات تطور جديد. بهذا نتمكن من ربط دراسة النظام اللغوي في وضعه الراهن (المترافق) بدراساته في تطوره التاريخي.

٢—١— أشرنا في المدخل إلى أننا نتبني المنهج الوصفي الوظيفي في الدراسة اللغوية. وتتلخص المبادئ العامة لهذا المنهج في النقاط التالية^(٥) :

١- اللغة والتفكير يشكلان وحدة لا انفصام لها، ويتجلى ذلك في تلازم اللفظ والمعنى.

٢- العلاقة بين اللفظ (الدال) والمعنى (المدلول) في مستوى الكلمة المفردة علاقة بيدلية يكونان فيها وحدة لا انفصام لها.

٣- العلاقة بين اللفظ والمعنى في مستوى التركيب (الجملة) تظهر من خلال جانبين متلازمين للجملة هما :

أ- جانب المبني الذي يتمثل في البنية الصوتية للجملة وتتجلى دراستها في ظاهرتين متلازمتين هما : ترتيب الكلمات والتغيير.

ب- جانب المعنى الذي يتمثل في البنية المعنية للجملة. وتتجلى دراستها في مجالين متلازمين :

(١) مجال الدراسة المنطقية للجملة.

(٢) مجال الدراسة الإبلاغية للجملة.

٢—٢— وتجدر الاشارة إلى أن المنهج الوصفي الوظيفي منهج تزامني (ستيكروني) في الدراسة اللغوية. وبفضل استخدام المنهج الوصفي الوظيفي، تمكّن علماء العربية الأوائل من الكشف الصحيح عن الخصائص البنوية المميزة للنظام اللغوي للغربية، ووضعوا قواعد النحو والصرف العلمية الدقيقة الملائمة لتلك الخصائص البنوية للغربية. ولكن علماء العربية حاولوا بعد ذلك تقديم تفسيرات لأسباب

وتشكل الكلام الإنساني) من حيث المبدأ في الموضوعات التي يدرسها عالم (فقه) اللغة؟ نرى أن مسألة (بداية نشأة اللغة الإنسانية وتشكل الكلام الإنساني) تدخل من حيث المبدأ في الموضوعات التي يدرسها فقه اللغة، شريطة لا تستهدف الخوض في الجانب الفلسفى من المأسالة (هل اللغة إلهام من الله أو تواضع فيما بين الناس؟)، بل تستهدف اكتشاف القوانين التي تنظم اللغة. وبما أن النظم اللغوي يتتألف من جانبين : صوتي (مادي) ودلالي (معنوي)، فمن الطبيعي أن ينطلق البحث في بداية نشأة اللغة الإنسانية من تحليل الجانب المادى (الصوقي) للغة، لينفذ من خلاله إلى تحليل الجانب الدلالي. وهكذا فإن البحث في مسألة (بداية نشأة اللغة الإنسانية) يحيل بالضرورة إلى البحث في الجانب المادى (الصوتي) للغة، ويجب أن يستهدف الإجابة عن السؤال : كيف نشأت العلاقة الذهنية بين مجموعة الأصوات التي تتتألف منها ألفاظ اللغة ودلائل تلك الألفاظ؟^{٣٩} وللإجابة عن هذا السؤال قدمنا نظرية جديدة حول نشأة الإنسان، بعد الرجوع إلى أبحاث معتمدة حول الكلام الإنساني ونشاته في اللسانيات العامة والتاريخ الحضاري الإنساني والأنثروبولوجيا والفلسفة وعلم النفس وعلم الأديان المقارن.

نظريتنا الجديدة حول نشأة الإنسان واللغة الإنسانية

المنطلق الفلسفى للنظرية

2 — 2 — 1 — إننا ندعو إلى فلسفة رشدية عربية^{٤٠}. وتنبئ نظرية المعرفة عند ابن رشد التي تنطلق من تحديد واضح للعلاقة بين الذات والموضوع

2 — 1 — 4 — استخدمنا المنهج الوصفي الوظيفي في دراستنا المقارنة للجملة في اللغتين العربية والروسية^{٤١}. وقد ساعدنا ذلك المنهج في فهم أصلية اللسان العربي التي تشير إليها الخصائص البنوية للغربية. وحين نصف لسانا ما بالأصلية نقصد أنه يتوافر فيه عنصران هما : الإيغال في القدم من ناحية، والاستمرار في الحياة من ناحية أخرى. وعليه فإن بنية اللسان الأصيل بهذا المعنى يجب أن تتمتع بجملة خصائص من حيث الأصوات والمفردات والصرف والنحو تشير إلى إيغاله في القدم. وأول قرينة على إيغال لسان ما في القدم هي وجود شبهة بين ألفاظه وأصوات الحيوان والطبيعة، لأن هذا الشبه بدل على حاكاة الإنسان القديم لأصوات الحيوان والطبيعة، ويعزى إلى بالتالي بدائية نشأة ذلك اللسان.

ونشير إلى أن دراسة البنية الصوتية لمجم مفردات العربية تكشف وجود شبه واضح بين كثير من ألفاظ العربية وأصوات الحيوان والطبيعة، مما يؤكّد بدائية نشأة اللسان العربي. ونتسائل بهذا الصدد : (هل ترتبط بدائية نشأة اللسان العربي ببداية نشأة اللغة الإنسانية وتشكل الكلام الإنساني؟!) ونجيب : «إنه ليصعب نظرياً تصور استمرار وجود لغة حقيقة حتى الوقت الراهن، تحمل مادتها عناصر تتوافق فيها الصفات الموضوعية للأصل الأول في نشأة الكلام الإنساني، ويمكن أن تكون نموذجاً لبداية تشكل الكلام الإنساني. إلا أنه لا يوجد برأينا ما يحروم من حيث المبدأ دراسة مادة لغوية للغة حقيقة من أجل بيان هل تقدم مادتها العناصر التي تتوافق فيها الصفات الموضوعية للأصل الأول في نشأة الكلام الإنساني»^{٤٢}.

2 — 1 — 5 — وأول ما يعترضنا هنا السؤال التالي : هل تدخل مسألة (بداية نشأة اللغة الإنسانية

4 - يؤلف النظام اللغوي كلا واحدا توجد المستويات المتدرجة للبنية اللغوية فيه في علاقة تأثير متبادل فيما بينها. ويختل مستوى البنية الصوتية مرتبة المستوى الأساسي والوجه بالنسبة لبقية المستويات. لذا تتعكس خصائصه في المستويات اللغوية الأعلى.

5 - يجب لدى دراسة النظام اللغوي أن نهم بما هو عام ومطرد من دون أن نهم الاستثناءات (الشواذ)، لأنها تعتبر شواهد على مراحل سابقة أو بدايات لتطور جديد. وبذلًا نتمكن من ربط دراسة النظام اللغوي في وضعه الراهن (الشرامن) بدراسته في تطوره التاريخي.

2 - 3 - 2 - يتجلّ تلازم النطق والتفكير ووظيفة الإبلاغ منذ بداية نشأة الكلام الإنساني. وكان إدراك العلاقة الذهنية بين الصوت وما يشير إليه البداية الأولى في تكوين التفكير الإنساني. وقد نطق هذا الإنسان بشكل واسع الأصوات لخدمتها وسيلة لنقل أغراضه للآخرين وفهم أغراضهم.

الثانية - علاقة التفكير بوظيفة الإبلاغ : تتمثل في تلازم (المعنى) و(وظيفة الإبلاغ). ويكون تلازم النطق والتفكير ووظيفة الإبلاغ في كل من مستوى الكلمة المفردة ومستوى الجملة.

1 - تلازم النطق والتفكير ووظيفة الإبلاغ في مستوى الكلمة المفردة. يتجلّ هذا التلازم في جانبيين متربطين بعضهما مع بعض :

1 - الجانب الأول : تلازم مبني اللفظة المفردة والمعنى الذي يحمله ولا ينفصل عنه. وهو ما نعبر عنه بتلازم الدال والمدلول وفق مقولتي عبد القاهر الجرجاني^(٥) : (الألفاظ أوعية للمعاني وخدامة لها) و(لا يوجد معنى عار من لفظ يدل عليه).

يتجلّ في أن المعارف الحقيقة ليست مجرد صور ذهنية بل تقابلها أشياء في الواقع. ويعني ذلك أن مصدر المعرفة الإنسانية هو العالم الخارجي. المنهج التاريخي العلمي في الدراسة اللغوية حسب نظرية

2 - 3 - 1 - وبالاستناد إلى المنطلق الفلسفى الذى تنبأ نطرح منهجاً تاريخياً علمياً في الدراسة اللغوية استبانته من التام بين نظرية ابن جني في «الخصائص» وعبد القاهر الجرجاني في «دلائل الإعجاز». ويقوم المنهج التاريخي العلمي عندنا على المبادئ التالية^(٦) :

1 - التلازم بين النطق والتفكير ووظيفة الإبلاغ منذ بداية نشأة الكلام الإنساني. وكان إدراك العلاقة الذهنية بين الصوت وما يشير إليه البداية الأولى في تكوين التفكير الإنساني. وقد نطق هذا الإنسان بشكل واسع الأصوات لخدمتها وسيلة لنقل أغراضه للآخرين وفهم أغراضهم.

2 - لم ينشأ التفكير الإنساني مكتتملاً طفرة واحدة، وإنطلق خط السير العام لتطوره من إدراك الشخص المحسوس واكتمل بالانتقال إلى المجرد. كما أن النظام اللغوي لم ينشأ مكتتملاً طفرة واحدة، بل نشاً واكتمل تدريجياً بشكل مواز لنشأة التفكير الإنساني واكتهاله.

3 - إنكار الترافق الذي قد يظنه بعضهم سيراً تميز لغة ما بثراء مفرداتها وسعة التعبير فيها. والنظر إلى ما يعد من الترافق في لغة ما على أنه يعكس مرحلة تاريخية قديمة كانت فيها الفاظ تلك اللغة تعبر عن التفكير القائم على إدراك الشخص ولم تكن فيها التسميات الحسية قد استكملت بعد تركيزها في تحريرات.

1) مجال الدراسة المنطقية لمعنى الجملة. وهو مجال ساكن لا يتغير حسب حال السامع، لأن الجملة التي تدرس فيه ممزولة عن السياق الكلامي والمقام ويشترط في هذا المجال من الدراسة توافر الإسناد المنطقي بين العنصرين المكونين للجملة وهما : المسند والمسند إليه.

2) مجال الدراسة الإبلاغية لمعنى الجملة. وهو مجال متغير حسب حال السامع، لأن الجملة تدرس فيه حسب حال السامع ضمن السياق الكلامي والمقام. ويشترط في هذا المجال من الدراسة توافر الإفادة بالنسبة للسامع.

مراحل نشأة الإنسان واللغة الإنسانية حسب نظريتنا :

2 - 4 - 1 - انطلاقاً من مبدأ النطق والتفكير ووظيفة الإبلاغ منذ بداية نشأة اللغة الإنسانية، نربط نشأة اللغة الإنسانية بنشأة الإنسان نفسه. ونعرف اللغة الإنسانية بأنها «أصوات نطقها الإنسان بشكل واع لاستخدامها وسيلة لإبلاغ الآخرين أغراضه وفهم أغراضهم في عشه المشترك معهم من ناحية، ولاستخدامها من ناحية أخرى وسيلة يصوغ بواسطتها أفكاره ويعبر عن مشاعره⁽¹²⁾. ونشير إلى أن الصفات العامة للغات الإنسانية تحددها الأمور المشتركة بين الناس جمِيعاً والتي لخصتها العبارة القديمة التي عرفت الإنسان بأنه كائن ناطق مفكر اجتماعي. ونعلن أن استعراض التاريخ الحضاري للإنسانية يظهر أن التفكير الإنساني لم ينشأ مكتبراً طفرة واحدة وأن خط السير العام لنطْرُ التفكير الإنساني انطلق من إدراك الشخص المحدد بجاهستي السمع والبصر واكتمل بالانتقال إلى المفرد العام. وقد تطورت

ب - الجانب الثاني : تلازم معنى اللفظة المفردة ووظيفة الإبلاغ. ويظهر ذلك في عدم اقتصار مفردات اللغة على أداء وظيفة (التسمية)، بل وفي إسهامها أيضاً في أداء وظيفة الإبلاغ وفق مقوله البرجاني ««الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانها في أنفسها ولكن لأن بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد»).

2 - تلازم النطق والتفكير ووظيفة الإبلاغ في مستوى الجملة. يتجلّى هذا التلازم في جانبي متراطبين بعضهما مع بعض :

ا - الجانب الأول : تلازم مبني الجملة الذي يحمله ولا ينفصل عنه.

ب - الجانب الثاني : تلازم معنى الجملة ووظيفتها الإبلاغية.

يتمثل مبني الجملة في البنية الصوتية للجملة. أما معنى الجملة فلا يوجد إلا محسداً في البنية الصوتية للجملة.

يظهر تلازم مبني الجملة ومعناها من خلال تمييز مجالين متلازمين في دراسة البنية الصوتية للجملة :

1) مجال دراسة ترتيب تسلسل الكلمات المكونة للجملة.

2) مجال دراسة التغيم في الجملة. والتغيم وسيلة لتمييز الأنواع المختلفة للجملة تبعاً لاختلاف معناها : الخبرية والاستفهامية والطلبية والتعجبية... ويظهر تلازم معنى الجملة ووظيفتها الإبلاغية من خلال تمييز مجالين متلازمين في دراسة المعنى الذي يحمله مبني الجملة :

2 - 4 - وتجدر الاشارة إلى أننا نغير الأصل في المعجم اللغوي الإنساني عن الأصل في النظام اللغوي الإنساني. ونعرفهما كما يلي : «الأصل في المعجم اللغوي الإنساني رصيد للأصوات اللغوية التي تتألف منها مفردات اللغة من ناحية أولى، وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية. والأصل في النظام اللغوي الانساني هو الصيغة اللغوية الإنسانية الأولى التي ولد تطورها النظم اللغوي الانساني في جميع مستوياته^(٤)». ونرى أن الصيغة اللغوية الإنسانية الأولى التي استخدمت في بداية التخاطب الإنساني اللساني كانت الصيغة العامة للطلب (الأمر) للمواجه (الشخص الثاني) التي كانت كلمة تفيد جملة ضمن سياق استخدامها.

2 - 4 - 5 - ونؤكد أن «القانون الأساسي في جميع اللغات الإنسانية هو مبدأ تقطيع السلسلة الصوتية إلى مقاطع صوتية يتتألف منها الكلام الإنساني^(٥)». ونشير إلى أن الدراسات الأنثropolوجية قد أثبتت بشكل قاطع أن حنجرة الإنسان القديم (الذي انقرض) ما كانت تسمح له إلا ببطء أصوات مندمجة بعضها بعض مثله في ذلك مثل سائر الحيوانات الناطقة. ويعني ذلك أن الإنسان القديم لم يكن قادرًا على تقطيع الأصوات التي تتتألف منها اللفظة التي حاكي فيها أصوات الحيوان إلى مقاطع صوتية متميزة. ثم تطورت البنية التشريحية للحنجرة عند الإنسان الحديث فتمكن من تغيير تلك اللفظة بتقطيعها إلى مقاطع صوتية متميزة. وبدأ ذلك مع الصيغة اللغوية الإنسانية الأولى وهي الصيغة العامة للطلب (الأمر) للمواجه (الشخص الثاني) التي نطقها الإنسان الحديث في مجموعتين صوتتين متميزتين ومتصلتين في لفظة واحدة. فتميز حيـثـذـ الطـقـ الانـسـانـيـ (عـنـدـ الإـنـسـانـ).

البنية اللغوية وأكتملت تدريجياً بشكل مواز لتطور التفكير الإنساني وأكماله.

2 - 4 - 2 - نؤكد أن نشأة اللغة الإنسانية لم تخضع لقوانين المنطق، بل كانت خاضعة لقانون صوقي يربط بقدرة الإنسان على التقطيع الصوقي وتتطور قدرته على التقطيع. ونشير إلى أن النهج الوصفي الوظيفي قادر على وصف البنية اللغوية وبيان وظيفتها الإبلاغية اعتباراً من اكتمال النظام اللغوي (الصوقي والصرفي والنحوبي) المرتبط بالتفكير المجرد وعمل قوانين المنطق. أما تفسير أسباب تمنع لغة ما بخصائص بنوية، فلا يصلح له النهج الوصفي الوظيفي لأن الأمر يتعلق بمرحلة ما قبل اكتمال التفكير المجرد (المنطقي) وهي في الوقت نفسه مرحلة ما قبل اكتمال النظام اللغوي بمستوياته المتدربة. والنهج التاريخي العلمي هو النهج الذي يبين كيف اكتمل النظام اللغوي بربطه بتطور قدرات الإنسان على التقطيع الصوقي وقدرته على الانتقال من التفكير الشخص إلى التفكير المجرد.

2 - 4 - 3 - إننا نرى أن «إدراك العلاقة الذهنية بين الصوت وما يشير إليه كان البداية الأولى في تكوين التفكير الإنساني». ويعني ذلك بالضرورة أن الكلام الإنساني قد مر في نشأته بطور أولى كان أصل المعجم اللغوي فيه عبارة عن محاكاة لأصوات الحيوان وظواهر الطبيعة، لأن تلك المحاكاة كانت بمثابة قربنة ساعدت الإنسان القديم في الإدراك الذهني للعلاقة بين الصوت وما يشير إليه وعقبه طور ثان انعدمت فيه محاكاة أصوات الحيوان وظواهر الطبيعة، وظهر فيه أصل جديد للمعجم اللغوي كانت العلاقة فيه بين الصوت والمدلول اعتباطية تقوم على التواضع الانساني^(٦).

وتصدر بعض ظواهر الطبيعة بنتيجة الحركة مجموعات من الأصوات المندجدة بعضها بعض، ولكنها تميز عن المجموعات المندجدة التي تصدرها فصائل الحيوان التي حاكها الإنسان في المرحلة الأولى بأن مجموعات الأصوات المندجدة الطبيعية أقصر. وكان الإنسان القديم في المرحلة الأولى عاجزاً عن تحاكيه أصوات ظواهر الطبيعة هذه بسبب قصرها، لأن حنجرته لم تتمكنه من نطق مثل تلك المجموعات المندجدة القصيرة والتوقف عن النطق بعدها مباشرة. ولكن نجاح الإنسان القديم في نطقه أول صيغة لغوية إنسانية وهي الصيغة العامة للأمر للشخص الثاني (عن طريق تقطيع مجموعة الأصوات المندجدة في الأصل المعجمي الأول التاريجي الحيواني إلى مجموعتين صوتتين متميزتين ومتصلتين في لفظة واحدة) كان تطوراً هاماً في البنية التشريحية لحنجرة الإنسان القديم حل معهبداية انتراض الإنسان القديم وببداية ظهور الإنسان الحديث، كما حل معهبداية عملية التخاطب الإنساني اللساني وببداية مرحلة جديدة هي المرحلة الثانية من الطور الأول في نشأة الكلام الإنساني. وهكذا استطاع الإنسان الحديث في هذه المرحلة الثانية تحاكيه أصوات ظواهر الطبيعة التي تصدر مجموعة قصيرة من الأصوات المندجدة بعضها بعض لأن عدم إلى تكرار نطق تحاكيتها في لفظة واحدة متصلة، ليتخلص بذلك من صعوبة التوقف عن النطق بعد تحاكيه تلك الأصوات المندجدة في مجموعة قصيرة. ثم استطاع الإنسان الحديث تحاكيه أصوات فصائل أخرى من الحيوان تصدر مجموعات صوتية مندجدة قصيرة مماثلة لأصوات ظواهر الطبيعة، وذلك بتكرار نطق تحاكيتها في لفظة واحدة متصلة مؤلفة من مجموعتين صوتتين متماثلتين. ولم يكن الأصل المعجمي الثاني (الذي

الحديث) عن النطق الحيواني، وظهرت اللغة الإنسانية التي تقوم على تقطيع السلسلة الصوتية إلى مقاطع صوتية متميزة يتألف منها الكلام الإنساني. كان الأصل المعجمي الأول (الذي حاكى فيه الإنسان القديم أصوات فصائل الحيوان التي تمتلك جهازاً للتصويت قريباً من جهاز التصويت عنده) مرحلة تمهيدية لنشأة اللغة الإنسانية، ولم يكن صيغة لغوية إنسانية. وكان الأصل المعجمي الأول أصلاً تاريجياً حيوانياً شبيهاً بصيغة إرادية تقتصر على التعبير عن تميز الشخص الثالث الذي كان يمثل بالنسبة للإنسان القديم في تلك المرحلة كل ما يتحرك ويصدر صوتاً يمكن تحاكيه من دون تميز جنسه أو عدده. لذا لم يكن هذا الأصل المعجمي الأول كلمة — جملة بالمعنى اللساني، لأن التخاطب الإنساني اللساني لا يمكن أن يكون إلا بعد تميز الشخص الثاني (الخاطب). وحين نجح الإنسان في تقطيع نطق الأصل التاريجي الحيواني حصل على لفظة الأمر للشخص الثاني (التي حملت في طياتها تميز الشخص الثاني الخاطب من ناحية أولى، وغرضها إبلاغياً يريد إيصاله للمخاطب من ناحية ثانية)، وبذلت حينئذ عملية التخاطب الإنساني اللساني. وصاحب عملية التخاطب بدأية بلورة الأصوات اللغوية الإنسانية.

2—4—6— تميز في الطور الأول من نشأة الكلام الإنساني (الذي ظهر فيه أصل معجمي بنتيجة تحاكيه أصوات الحيوان والطبيعة) مرحلتين :

الأولى — مرحلة تحاكيه أصوات الحيوان، والثانية — مرحلة تحاكيه ظواهر الطبيعة. وقد تحدثنا في الفقرة السابقة عن مرحلة تحاكيه أصوات الحيوان. ونتنقل هنا إلى الحديث عن المرحلة الثانية — مرحلة تحاكيه أصوات ظواهر الطبيعة.

الحيواني) الذي لم يكن صيغة لغوية إنسانية، بل حمل معه توسيعا في تمييز الشخص الثالث.

الطور الثاني : طور التواضع الإنساني الذي حدد العلاقة بين الأصوات اللغوية ومدلولاتها. ابتدأ باكتمال انقراض الإنسان القديم ليحل محله الإنسان الحديث خلفا له، وانتهى باكتمال ظهور الإنسان الحديث. وظهر فيه أصل معجمي ثالث جديد تميّز عن الأصلين الأول والثاني بأنه كان صيغة لغوية إنسانية هي صيغة الأمر العامة للشخص الثاني.

القسم الثاني :

دراسة اللسان العربي في ضوء نظرتيما حول نشأة الإنسان واللغة الإنسانية.

3 - 1 - 1 - أشرنا في الفقرة (2 - 1 - 3) إلى أننا نرى أن المقابلة بين التزامن والتعاقب في دراسة اللغة وهمية جدا ولا يمكن أن تكون مقبولة إلا في مراحل الدراسة التمهيدية. واستنادا إلى النهج التاريخي العلمي نؤكد أنه لدى دراسة النظام اللغوي يجب أن نهتم بما هو عام ومطرد دون أن نهمل الاستثناءات (الشواذ)، لأنها تعتبر شواهد على مراحل سابقة أو بدايات لتطور جديد. وبذا نتمكن من ربط دراسة النظام اللغوي في وضعه الراهن (حسب النهج السنكريوني) بدراسته في تطوره التاريخي (حسب النهج الدياكروني).

3 - 2 - 1 - وأشارنا في الفقرة (2 - 4 - 4) إلى أننا نميز الأصل في المعجم اللغوي الإنساني عن الأصل في النظام اللغوي الإنساني لهذا قمنا بدراسة الأصل في المعجم العربي والأصل في الاشتراق في العربية، باستخدام النهج التاريخي العلمي الذي يركز

حاكي في الإنسان الحديث أصوات ظواهر الطبيعة وأصوات فصائل أخرى من الحيوان تصدر بجموعات صوتية مندجحة قصيرة مماثلة لأصوات ظواهر الطبيعة وعمد إلى تكرار نطق محاكاتها في لفظة مؤلفة من مقطعين متاثلين) صيغة لغوية إنسانية، بل كان أصلا تاريخيا طبيعيا - حيوانيا مهد للتتوسع في نشأة اللغات الإنسانية. وحين استطاع الإنسان الحديث تطوير نطق الأصل المعجمي التاريخي الطبيعي - الحيواني بإزالة التماثل في المقطعين المؤلفين له نتيجة للتكرار، حصل على الصيغة العامة للأمر للشخص الثاني وهي عبارة عن لفظة مؤلفة من مقطعين صوتيين متميزين بعضهما عن بعض.

2 - 4 - 7 - ويمكن تلخيص نشأة الإنسان واللغة الإنسانية⁽¹⁶⁾ حسب نظرتيما كما يلي :

الطور الأول : طور محاكاة الإنسان أصوات الحيوان وظواهر الطبيعة. ومر بمراحلين : 1 - مرحلة الإنسان القديم وهي مرحلة ما قبل الكلام الإنساني. كان الإنسان القديم فيها، ينطق مثل الحيوان بجموعات صوتية مبهمة. وظهر فيها الأصل المعجمي الأول (التاريخي الحيواني) الذي لم يكن صيغة لغوية إنسانية، بل حمل معه بداية تمييز الشخص الثالث ومهد لنشأة الكلام الإنساني في المرحلة الثانية.

2 - مرحلة بداية ظهور الإنسان الحديث القادر على التقطيع الصوقي وبداية انقراض الإنسان القديم غير القادر على التقطيع الصوقي، وهي مرحلة بداية الكلام الإنساني. وظهرت فيها الصيغة اللغوية الأولى للتحاطب الإنساني اللساني - صيغة الأمر العامة للشخص الثاني. كما ظهر فيها الأصل المعجمي الثاني (التاريخي الطبيعي -

في المعجم العربي ليس صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر / كتب (هو) / كما يرى الكوفيون. ويظهر ذلك أن علماء البصرة قد أصابوا حين قرروا أن الأصل في المعجم مادة أصلية ويقصدون بذلك الحروف المجردة أي صيغة افتراضية (مجردة)، لأن الأصل الأول في المعجم اللغوي الإنساني، حسب نظريتنا، ذو جانب صوتي (مادي) يرتبط بالشأن الصوتية للغة الإنسانية المتمثلة في محاكاة أصوات الحيوان.

3—1—4— قرر علماء العربية أن المبدأ الذي يقوم عليه نظام المعجم العربي هو الأصل (الثلاثي غالباً أو الرباعي) المجرد من حروف الزيادة. ويتحدد وفق قواعد الاشتقاق الصغير (في علم الصرف) كيف يتم الحصول على الأصل المجرد من حروف الزيادة. ونلاحظ أن أول سؤال، يطرحه المعجم العربي يدور حول وجود علاقة مناسبة طبيعية بين مجموعة الحروف (الأصوات الصامتة) التي يتتألف الأصل منها ومدلولاتها بنتيجة محاكاة أصوات الحيوان والطبيعة. وقد كشفنا بفضل استخدام النهج التاريخي العلمي، أن السبب في اعتقاد نظام المعجم السالم ببدأ الرجوع إلى الأصل الثلاثي المجرد السالم يرجع إلى أن هذا الأصل يستند إلى الأصل التاريخي الحيوي لنشأة اللغة العربية (شح، نزب). والسؤال الذي يبرز هنا هو التالي : كيف تم إدخال أصول المعجم الأخرى التي ظهرت بعد الأصل الثلاثي السالم في نظام المعجم العربي مع المحافظة على اتساق نظامه ؟

3—1—5— للإجابة عن هذا السؤال نبه إلى أن قواعد الاشتقاق الصغير في علم الصرف تميز نوعين من الأصل بالنسبة للفعل الثلاثي :

على الاستثناء لأنها يمكن أن تساعد في الكشف عن مراحل نشأة العربية وتشكل نظامها اللغوي وأكتاباته. ولدى دراستنا لللأصل في المعجم العربي قدمنا نظرة صوتية جديدة في دراسة المعجم العربي. ولدى دراستنا للأصل في الاشتقاق في العربية، قدمنا طريقة صوتية جديدة في وصف قواعد صرف العربية ونحوها.

3—1—3— يوجد اتجاهان في تحديد العلاقة بين الأصل في المعجم العربي والأصل في الاشتقاق في العربية :

الأول - اتجاه علماء البصرة : يقول بتغيير الأصل في المعجم عن أصل الاشتقاق في العربية. بالنسبة لأصل المعجم العربي يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأصل في المعجم مادة مجردة (الحروف الثلاثة الأصلية) ثم يتم الحصول عليها بالاستبطاط الصريفي، وليس الأصل صيغة لغوية حقيقة. وبالنسبة لأصل الاشتقاق في العربية يرون أن أصل الاشتقاق هو المصدر وهو الصيغة اللغوية الأولى التي تولد منها النظام اللغوي.

الثاني - اتجاه علماء الكوفة والمستشرقين وعلماء الساميات : يقول بعدم تمايز الأصل في المعجم عن أصل الاشتقاق في العربية. وبالنسبة لأصل المعجم العربي، يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأصل صيغة لغوية حقيقة هي صيغة الفعل الماضي المجرد المسند إلى الشخص الثالث المفرد المذكر. وبالنسبة لأصل الاشتقاق في العربية، يرون أنه الأصل المعجمي نفسه.

ونرى أن الأصل في المعجم العربي (ك.ت.ب) رصيد للأصوات اللغوية التي تتتألف منها المفردات العربية من ناحية، وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية. ويعني ذلك أن الأصل

اللغة العربية (شح، نزب) الذي حاكى فيه الإنسان القديم أصوات الحيوان التي تنطق بمجموعة مندرجة من الأصوات. وهذا هو السبب في أن المبدأ الأول الذي قام عليه المعجم العربي هو الأصل الثلاثي السالم المجرد من حروف الزيادة.

أما الأصل الرباعي المجرد من حروف الزيادة، فلا يميز فيه حسب قواعد الصرف العربي بين سالم وغير سالم. ويعود السبب في ذلك برأينا إلى أنه يرجع إلى الأصل المعجمي الثاني التاريخي – الطبيعي – الحيواني (خر، خر، زق، زق) الذي حاكى فيه الإنسان القديم أصوات ظواهر الطبيعة وأصوات بعض فصائل الحيوان الشبيهة بها التي تصدر مجموعات صوتية مندرجة قصيرة، وعندما إلى تكرار نطق محاكاتها في لفظة مؤلفة من مقطعين متاثلين. ويعنى ذلك أن الأصل المعجمي الثاني التاريخي الطبيعي – الحيواني كان ينطق من مقطعين صوتيين. لذا تم اعتقاد الأصل الرباعي المجرد (المؤلف من أربعة صوامت من دون تمييز للحروف التي يتكون منها) مبدأ ثانياً بعد الثلاثي في نظام المعجم العربي. ويفسر هذا لماذا تبلغ نسبة الأصول الثلاثية ضعف نسبة الأصول الرباعية في المعجم العربي.

3 – 2 – 3 – نذكر أن المبدأ الأول (الأصل الثلاثي السالم) والمبدأ الثاني (الأصل الرباعي) في المعجم العربي يرتبطان بالطور الأول في نشأة اللغة العربية، وهو طور محاكاة أصوات الحيوان وظواهر الطبيعة. وكان هذان الأصلان المعجميان التاريخيان رصيداً للأصوات اللغوية والمدلولات المرتبطة بها، ولم يكونا الصيغة اللغوية الأولى الأصل في الاشتغال في العربية (صيغة الأمر العامة للشخص الثاني). ويتطابق الأصل المعجمي الأول الثلاثي السالم، من حيث عدد الحروف الصامدة، مع صيغة الفعل

1 – السالم : الحالى من التضعيف والهمز والإعلال.

ب – غير السالم : الذي يكون صحيحاً (مهماً) أو مضعفاً وحالياً من حروف العلة) أو معتلاً بأنواعه المختلفة (المثال والأجوف والناقص واللقيف المفروق واللقيف المقون).

لذا نركز لدى دراسة نظام المعجم العربي على القواعد الخاصة بالفعل الثلاثي غير السالم (المضعف والمهماز والمعتل)، لأنها يمكن أن تكون نقاط علام تبين المراحل التاريخية لاكتمال نظام المعجم العربي عن طريق إدخال أصول جديدة فيه. ونتساءل :

ما السبب في التمييز في الأصل المعجمي الثلاثي بين السالم وغير السالم؟ وما السبب في إهمال التمييز في الأصل المعجمي الرباعي بين السالم وغير السالم؟ وللإجابة عن هذين السؤالين طرحتنا نظرة صوتية جديدة في دراسة المعجم العربي^(١).

نظرة صوتية جديدة في دراسة المعجم العربي :

3 – 2 – 1 – تقوم النظرة الصوتية الجديدة إلى المعجم العربي على القانون التالي : الأصل الحقيقي في المعجم العربي (الذي هو رصيد للأصوات اللغوية التي تتتألف منها المفردات من ناحية، وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية) هو ذلك الرصيد الذي يشتمل على الحد الأدنى من الصوامت المشتركة بين جميع الكلمات التي تدخل في العنقود الاشتقaci الواحد وبالترتيب نفسه.

3 – 2 – 2 – أشرنا أعلاه إلى أننا نرى أن الأصل الثلاثي السالم المجرد (المؤلف من ثلاثة صوامت لا يدخل فيها الهمزة والتضعيف وحروف العلة) يرجع إلى الأصل المعجمي الأول التاريخي الحيواني لنشأة

(طِيْ). ونجد الأصل الثاني مجرداً كذلك من صيغ الأمر، (قُمْ، نَحْدُ، عَدْ) التي تنطق في مقطع صوتي واحد. وتسمى هذه الصيغة في الصرف العربي : الأمر العربي من المعتل الأجوف (قُمْ)، والأمر من الصحيح — مهموز الأول (نَحْدُ)، والأمر من المعتل المثال (عَدْ).

3 - أصل معجمي أحادي (يتألف من صامت واحد). ونجده مجرداً في صيغة الأمر (ف، ق) التي تنطق في مقطع صوتي واحد وتسمى في الصرف العربي : الأمر من المعتل اللفيف المفروق.

3 - 2 - 5 - ونصل الآن إلى الإجابة عن السؤال الذي طرحته سابقاً : كيف تم إدخال أصول المعجم الأخرى التي ظهرت بعد الأصل الأول الثلاثي السالم (التاريخي الحيواني) في نظام المعجم العربي مع المحافظة على اتساق نظمه؟ أشرنا أعلاه إلى أن الأصل المعجمي الثلاثي السالم مجرد والأصل المعجمي الرباعي المفرد ظهر في الطور الأول من نشأة العربية (طور حاكاة أصوات الحيوان وظواهر الطبيعة)، ولم يكونا الصيغة اللغوية الأولى الأصل في الاشتراق في العربية (صيغة الأمر العامة للشخص الثاني). وبما أن الأصل في المعجم في طور الحاكاة الثاني). كان يتطابق من حيث عدد الصوامت مع صيغة الفعل الماضي المفرد المسند إلى الشخص الثالث المفرد المذكر، فإن ذلك يعني أنه ينبغي من أجل اتساق نظام المعجم العربي إدخال الأصول المعجمية الجديدة التي ظهرت في الطور الثاني من نشأة اللغة العربية (طور التواضع) وفق المبدأ نفسه : المطابقة من حيث عدد الصوامت مع صيغة الفعل الماضي المفرد المسند إلى الشخص الثالث المفرد المذكر. وحين تكون صيغة الفعل الماضي تلك لا تشتمل على

الماضي الثلاثي السالم المجرد المستند إلى الشخص الثالث المفرد المذكر. أما الأصل المعجمي الثاني الرباعي، فيتطابق من حيث عدد الحروف الصامدة مع صيغة الفعل الماضي الرباعي المفرد المسند إلى الشخص الثالث المفرد المذكر، سواء اشتملت تلك الصيغة على حروف العلة أو الهمزة أم لم تشتمل عليها.

3 - 2 - 4 - وبتطبيق «قانون النظرة الصوتية» إلى المعجم العربي، كشفنا أنه توجد أصول حقيقة أخرى في المعجم العربي غير الأصل الثلاثي (المؤلف من ثلاثة صوامت) والأصل الرباعي (المؤلف من أربعة صوامت). وظهرت تلك الأصول الحقيقة المعجمية الأخرى في الطور الثاني من نشأة اللغة العربية. فكانت من ناحية لا تقوم على الحاكاة بل تقوم على التواضع الإنساني، ومن ناحية ثانية كانت في الوقت نفسه الصيغة اللغوية الأولى الأصل في الاشتراق في العربية (صيغة الأمر العامة للشخص الثاني). وهذه الأصول المعجمية الحقيقة الجديدة هي :

1 - أصل معجمي حقيقي ثانٍ مضعنف (يتألف من ثلاثة صوامت يكون الثالث منها هو الثاني نفسه). ونجده مجرداً في صيغة الأمر التي لا يفك فيها إدغام الثاني والثالث (مُدّ) وتنطق في مقطعين صوتيين. وتسمى هذه الصيغة في الصرف العربي : الأمر من الصحيح — المضعنف.

2 - أصل معجمي حقيقي ثانٍ (يتألف من صامتين). ونجده مجرداً في صيغتي الأمر (زِمْ . طِرِ) اللتين تنطقان في مقطعين صوتيين. وتسمى هاتان الصيغتان في الصرف العربي : الأمر من المعتل الناقص (زِمْ)، والأمر من المعتل اللفيف المقوون

المعجم العربي. لذا فإننا نرفض الدعوات إلى التخلص عن مبدأ الأصل المجرد من حروف الزيادة في المعجم العربي. وندعو إلى التمسك بهذا المبدأ. ونؤكد أن القواعد الصرفية الخاصة بالفعل الثلاثي غير السالم تشير إلى البعد الزمني (التاريخي) في نظام المعجم العربي، حين ننظر إليها من خلال قانون نظرتنا الصوتية الجديدة إلى المعجم العربي.

3 - 2 - 7 - لقد كشفت نظرتنا الصوتية إلى المعجم العربي أن المادة اللغوية للغربية المتوافرة إلى يومنا الراهن، والتي حفظها لنا نظام المعجم العربي، تقدم شواهد تاريخية علمية تشير إلى أن نظام المعجم العربي يعكس جميع المراحل التي مرت بها نشأة الإنسان واللغة الإنسانية. ويثبت ذلك بشكل قاطع أن اللغة العربية أصل قائم بذاته.

ويترتب على هذه الحقيقة العلمية الجديدة النتائج التالية :

1. العرب هم عرب منذ ظهور الحياة الإنسانية في وطنهم.
2. اللغة العربية هي اللغة الأصلية للشعب العربي منذ بداية وجوده.
3. كشف زيف فرضية (أسرة اللغات السامية أو أسرة اللغات السامية — الحامية) وفرضية (الشعب السامي أو الشعب السامي — الحامي). ويستتبع ذلك بالضرورة إعادة كتابة التاريخ العربي.

طريقة صوتية جديدة في وصف قواعد صرف العربية ونحوها

3 - 1 - 3 - 1 - كما قد أشرنا أعلاه في الفقرة : 1 - 2 إلى أن علماء العربية الأوائل تمكنا،

ثلاثة صوامت، تجرى عليها بعض التعديلات المقررة وفق قواعد الصرف العربي لتحول إلى أصل معجمي مفترض (غير حقيقي) يتالف من ثلاثة صوامت. وهذه التعديلات هي التالية :

- 1 - بالنسبة للأصل المعجمي الحقيقي الثاني المضعف، ينبغي فك الإدغام في صيغة الماضي الصحيح المضاعف للشخص الثالث المفرد المذكر (مد) للحصول على أصل معجمي مفترض (غير حقيقي) يتالف من ثلاثة صوامت (مدد).
- 2 - بالنسبة للأصل المعجمي الثاني ينبغي رد الألف المدة إلى أصلها الواو المتحركة أو الياء في صيغة الماضي المعتل الأجرف (قام — قوم، باع — بيع) والمعتل الناقص (رمى — دعا — دعو) والمعتل اللفيف المقوون (طوى — طوى). أما بالنسبة للفعل المعتل المثال (وعد) والمهموز (أكل، سأل، قرأ) وجمعها تتالف من ثلاثة صوامت، فلا حاجة لإجراء أي تعديلات ويعتبر الأصل المعجمي المفترض (غير الحقيقي) مادة تتطابق مع صيغة الفعل الماضي تلك.
- 3 - بالنسبة للأصل المعجمي الحقيقي الأحادي (ق)، ينبغي رد الألف المدة في صيغة الماضي اللفيف المفروق إلى أصلها (وق — وقي).
- 3 - 2 - 6 - وهكذا يظهر أن القواعد التي حددتها علم الصرف العربي بالنسبة للفعل الثلاثي غير السالم : الصحيح — المضعف والصحيح — المهموز والمعتل بأنواعه المختلفة (المثال والأجرف والناقص واللفيف المقوون واللفيف المفروق)، تمكن من إدخال الأصول المعجمية الجديدة التي ظهرت في الطور الثاني من نشأة اللغة العربية (طور التواضع)، وتؤمن في الوقت نفسه اتساق نظام

التطور التاريخي لنشأة النظام الصرفي للعربية وأكتاله ونشأة النظام النحوي للعربية وأكتاله.

3 - 3 - 2 - تطلق الطريقة الصوتية الجديدة في وصف قواعد صرف العربية ونحوها من أنه كان يوجد أصل واحد للاشتغال في النظام اللغوي الإنساني هو صيغة فعل الأمر العامة للشخص الثاني. لذا فإن صيغة الأمر تلك كانت الصيغة اللغوية الأولى التي ظهرت في النظام اللغوي للعربية، وكانت وبالتالي الأصل في الاشتغال في العربية. وقد تولد من تطورها النظام اللغوي للعربية في جميع مستوياته الصوتية والإفرادية والتركيبة.

وسنعرض بمجاز شديد المبادئ العامة للطريقة الصوتية الجديدة في فقرتين : الأولى - عرض الطريقة الجديدة في دراسة تصريف الأفعال في العربية، الثانية - عرض الطريقة الجديدة في دراسة النحو العربي.

طريقة جديدة في دراسة تصريف الأفعال في العربية^(١٠) :

3 - 3 - يمكن تلخيص طريقتنا الجديدة في دراسة تصريف الأفعال في العربية في النقاط التالية :

أولاً : دراسة تصريف الأفعال في العربية وفق التسلسل التالي :

- 1 - صيغ الأمر (فعل الأمر)
- 2 - صيغ الإخبار في الزمن غير الماضي (الفعل المضارع).
- 3 - صيغ الإخبار في الزمن الماضي (الفعل الماضي).

بفضل المنهج الوصفي الوظيفي، من الكشف الصحيح عن الخصائص البنوية المميزة للنظام اللغوي للعربية، ووضعوا قواعد النحو والصرف العلمية الدقيقة الملائمة لتلك الخصائص البنوية للعربية. ولكن علماء العربية حاولوا بعد ذلك تقديم تفسيرات لأسباب تمنع العربية بخصائصها البنوية المميزة عن طريق بحثهم فيما سموه (الأصل والفرع). ولاحظنا عليهم أنهم لم يأخذوا بالحسبان عامل الأسبقية في الزمان لدى تحديد الأصل والفرع. وبينمارأينا التمثل في أن تحديد الأصل والفرع لا يمكن أن يتم البحث فيه خارج محور الزمان، لأن الأصل هو بالضرورة الأسبق في الزمان والفرع هو التالي له في الزمان. وأعلننا أننا نبني منهجا تاريخينا علميا في الدراسة اللغوية من أجل الكشف عن أسباب تمنع العربية بخصائصها البنوية المميزة تحديد (الأصل والفرع) على محور الزمان.

كما ذكرنا أنه يتوجب، حسب نظرتنا حول نشأة الإنسان واللغة الإنسانية، تمييز الأصل في المعجم اللغوي الإنساني عن الأصل في النظام اللغوي الإنساني. ويستوجب ذلك فصل دراستهما بعضها عن بعض. لذا قمنا بدراسة الأصل في المعجم العربي، باستخدام المنهج التاريخي العلمي الذي يركز على القواعد الخاصة بالاستثناءات، وقدمنا نظرة صوتية جديدة في دراسة المعجم العربي. ولدى دراستنا للأصل في الاشتغال في العربية، هو برأينا الصيغة اللغوية الأولى في النظام اللغوي للعربية (صيغة الأمر العامة للشخص الثاني)، قدمنا طريقة صوتية جديدة في وصف قواعد صرف العربية ونحوها. تستند الطريقة الصوتية الجديدة إلى المنهج التاريخي العلمي في تحديد (الأصل والفرع) على محور الزمان، وتركتز على القواعد الخاصة بالاستثناءات في صرف العربية ونحوها، وذلك لكشف مسار

قمنا بإعادة النظر في دراسة المعرّب والمبني في العربية، وركزنا على الحالات الخاصة حول الموضوع في النحو العربي. وكما أوصلتنا الطريقة الصوتية في وصف قواعد صرف العربية ونحوها إلى قلب اتجاه التصرّف السائد في الصرف العربي بالنسبة للأفعال (الماضي ← المضارع ← الأمر) ليصبح عندنا (الأمر ← المضارع ← الماضي)، فإن هذه الطريقة الصوتية نفسها قد أوصلتنا إلى القول بعكس ما هو سائد في النحو العربي في مسألة (الأصل والفرع) من حيث البناء والأعراب بالنسبة للأسماء. إن السائد في النحو العربي هو أن (الأصل في الأسماء هو الإعراب والبناء فرع عليه). وانطلاقاً من أن الأصل في الاشتغال في العربية هو صيغة الأمر العامة للشخص الثاني، وأن النظام اللغوي للعربية (في جميع مستوياته الصوتية والإفرادية والتركيبية) قد تولد من تطورها، وبفضل استخدام المنهج التاريخي العلمي والتركيز على القواعد الخاصة بالضمائر وأنواعها والأسماء الستة والمنع من الصرف كشفنا القانون التالي: البناء أصل في النظام اللغوي للعربية : فهو أصل في الأفعال وأصل في الأسماء وأصل في الحروف. والإعراب فرع في الأفعال وفرع في الأسماء.

ويستوجب هذا القانون تغيير طريقة وصف قواعد النحو العربي. وسنفصل القول في هذا الموضوع في مقالٍ مقبلٍ وعنوانه : طريقة جديدة في دراسة النحو العربي (من خلال إعادة النظر في دراسة المعرّب والمبني في العربية).

ثانياً : استخدمنا في طريقتنا الجديدة الطريقة المعروفة في الصرف العربي في تحديد أوزان الفعل (ف) للإشارة إلى الحرف الأول، (ع) للإشارة إلى الثاني، (ل) للإشارة إلى الثالث. ولكن نجد الإشارة إلى أن طريقتنا في تحديد أوزان الفعل تختلف (لأننا نطلق في التصريف من الأصل في الاشتغال — برأينا — في العربية وهو صيغة فعل الأمر العامة للشخص الثاني) عن الطريقة المتبعة في الصرف العربي (التي تطلق من صيغة الفعل الماضي المجرد المسند إلى الشخص الثالث المفرد المذكور).

ثالثاً : حددنا وفق طريقتنا الجديدة خمسة أنماط لصيغة فعل الأمر العامة المجردة — الأصل في الاشتغال في العربية وهي التالية :

- 1 - ثلاني الصوامت (أكْتُبْ)
- 2 - رباعي الصوامت (بَعْثِرْ)
- 3 - ثلاني الصوامت المضعف (مُدْ)
- 4 - ثلاني الصوامت غير المضعف (أُدْنُ، إِرْمُ، إِسْعُ، قُمُ، خُدْنُ، سِرْ، نِمْ)
- 5 - أحادي الصوامت (قِ).

رابعاً : حددنا ثلاثة عشر وزناً لصيغة فعل الأمر العامة — ارسل في الاشتغال في العربية. وبيننا أن تلك الأوزان تتحقق في تسعة عشر نموذجاً لتصريف الأفعال في العربية. وعرضناها كلها في تسعة جداول.

طريقة جديدة في دراسة النحو العربي⁽¹⁾

— 3 — 3 — 4 — باستخدام المنهج التاريخي العلمي،

اخوا امش

- (*) الأهلي — دمشق 1991، حيث قال الدكتور شحرور، «وكما أن هناك مدرسة بصرية وأخرى كوفية في علوم اللغة العربية، فإني أرى أن كتاب الدكتور جعفر دك نباب هذا (طريقة جديدة في دراسة تصريف الأفعال في العربية) يشكل مع كتابه الآخر (نحو نظرية جديدة إلى فقه اللغة) بداية مدرسة لغوية دمشقية حديثة».

(1) للتوضيع في الموضوع ارجع إلى بحثنا «نظرية عبد القاهر البرجاني اللغوية (ال نحوية البلاغية) والبنيوية الوظيفية في النقد الأدبي» — مجلة (حواليات جامعة الجزائر) العدد 7/1992.

(2) نشر في مجلة «المعرفة»، بدمشق — العدد رقم 222 و 223 — عام 1980.

(3) للتوضيع في الموضوع ارجع إلى كتابنا «أسرار اللسان العربي» — الأهلي — دمشق ط 1/1990 ص 815-819.

(4) للتوضيع في الموضوع ارجع إلى «نظرية عبد القاهر البرجاني اللغوية (ال نحوية البلاغية) والبنيوية الوظيفية في النقد الأدبي» المشار إليه أعلاه.

(5) في رسالة: «دكتوراه التي أخجزناها بالروسية في جامعة موسكو في اختصاص المسابقات التاريخية والمقارنة وناقشتها بامتياز عام 1973. وعنوان الرسالة: «مبدئي: الدراسة المقارنة لترتيب الكلمات في الجملة في اللغة العربية الفصحى واللهجة الروسية الأدبية المعاصرة».

(6) من كتابنا «نحو نظرية جديدة إلى فقه اللغة» — الأهلي — دمشق 1989، ص 77.

(7) للتوضيع في الموضوع ارجع إلى «محاضراتنا في فقه اللغة» التي ألقيناها على طلبة الدراسات العليا — الشعبة اللغوية في معهد اللغة العربية وأدبها في جامعة الجزائر في الأعوام 1984-1992.

(8) وقد بيّننا هذه الدعوة في بحثنا في الفلسفة العربية الإسلامية وعنوانه «دعوة إلى رشدية عربية» المنشور في مجلة «دراسات عربية» بيروت — العدد 2 — السنة 26 — كانون الأول 1989.

(9) أمور الناس انعرفي «المشار إليه أعلاه»، ص 817-818.

(10) (11) للتوضيع في الموضوع ارجع إلى كتابنا «المرجر في شرح دلائل الإعجاز في علم معانٍ»، مطبعة أجنبـل — دمشق 1980.

(12) «نحو نظرية جديدة إلى فقه اللغة»، ص 83.

(13) «نحو نظرية جديدة إلى فقه اللغة»، ص 85-86.

(14) «نحو نظرية جديدة إلى فقه اللغة»، ص 84.

(15) «نحو نظرية جديدة إلى فقه اللغة»، ص 87.

(16) للتوضيع في الموضوع ارجع إلى بحثنا «اللسان العربي يعكي قصة نشأة الإنسان واللسان»، مجلة «اللسان العربي» بالرباط، العدد 33، 1989.

(17) للتوضيع في الموضوع، ارجع إلى:

أ) بحثنا «دراسة صوتية لنظام انجم العربي»، مجلة «الموقف الأدبي» بدمشق، العدد الذي يحمل الأرقام (181، 182، 183)، لعام 1986.

ب) بحثنا «نظرية جديدة إلى المعجم العربي»:

(القسم الأول: مراحل تشكيل نظام المعجم العربي واكتاله)، مجلة «اللسان العربي» بالرباط، العدد 26

(القسم الثاني: المبادئ، التي يقوم عليها نظام انجم العربي والتسلل الرزمي لظهورها)، مجلة «اللسان العربي» بالرباط، العدد 27.

(18) للتوضيع في الموضوع، ارجع إلى:

أ — بحثنا «نظريـة جديدة في دراسة بنية اللسان العربي» كتاب «أشغال الملتقى الرابع للسـابـيات (الـسـابـياتـ العـرـبـيةـ والإـعـلامـيـةـ)»، تونـسـ، 9-12ـ نـوـفـمـبرـ 1987ـ.

ب — إصدار جامعة التـونـسـيةـ / مرـكـزـ الـدـرـاسـاتـ وـالـأـبـاحـاتـ الـاـقـتصـادـيـةـ وـالـاجـتـاعـيـةـ سـلـسلـةـ السـابـياتـ (7)ـ، تـونـسـ 1989ـ.

(19) سـعـمـدـ بـنـحـثـاـ صـرـحـ طـرـيقـتـاـ الجـديـدـةـ فيـ درـاسـةـ التـحـوـ عـرـبـيـ فيـ:

أ — بـنـحـثـاـ «نظـريـةـ جـديـدـةـ فيـ درـاسـةـ بنـيـةـ الـلـسانـ عـرـبـيـ»ـ القـسـمـ الثـانـيـ: طـرـيقـةـ جـديـدـةـ فيـ درـاسـةـ التـحـوـ عـرـبـيـ (منـ خـلـالـ إـعادـةـ النـظرـ فيـ درـاسـةـ)

الـعـرـبـ وـيـسـيـيـ فيـ العـرـبـيـ»ـ الـذـيـ سـتـشـرـهـ قـرـيبـاـ فيـ مـيـةـ «الـلـسانـ عـرـبـيـ»ـ بالـربـاطـ.

ب — كتابـاـ الثـانـيـ منـ سـلـسلـةـ (طـرـيقـةـ صـوـتـيـةـ فيـ وـصـفـ قـوـاعـدـ صـرـفـ عـرـبـيـ وـنـحـوـهاـ)ـ وـعـنـوانـهـ: طـرـيقـةـ جـديـدـةـ فيـ درـاسـةـ التـحـوـ عـرـبـيـ»ـ الـذـيـ

صـنـصـدـرـهـ قـرـيبـاـ إـنـ شـاءـ اللهـ.